الأسلوب

دراسة لغوية إحصائية

د . مازن الوعر
جامعة دمشق

مدخل

(الأسلوب : دراسة لغوية إحصائية) هو عنوان الكتاب الذي ألفه الباحث اللساني العربي الدكتور سعد مصلوح(1) ونشرته دار الفكر العربي بمصر عام 1984 .

يطرح الكتاب منهجا حديثا في الأسلوبيات يمكن أن يعتبر بديلا لسانيا للنقد الأدبي المعروف . وهذا ما يجعل المؤلف يوضح الأسباب التي دعت لصياغة مثل هذا المنهج الأسلوبي فيدرس ماهية الأسلوب القديم والحديث ويبين الحاجة الماسة إلى تطبيق المعايير العلمية الدقيقة على دراسة الأنواع الأدبية ولا سيما استخدام علم الاحصاء .

وبعد أن يصوغ المؤلف المنهج الأسلوبي الحديث يحاول تطبيقه على بعض النماذج النثرية المعاصرة سواء أكان ذلك في المسرح أم في الرواية .

تطمح الدراسة الحالية إلى إعطاء فكرة واضحة ومكثفة لهذا المنهج الأسلوبي الجديد وتبيان كيفية تطبيقه على الأنواع الأدبية النثرية ... ثم تبيان الجوانب الايجابية والجوانب السلبية التي يتسم بها هذا المنهج .

1 . الحاجة إلى منهج

(1) يميز المؤلف هنا بين تذوق الأدب وبين دراسته دراسة علمية موضوعية . فالقارىء المتمرس يميز في صبر وحذق بين مختلف الأساليب . وهذا التمييز التلقائي سلاحه «الحدس» و «الذوق» وكلاهما لا يكون من فراغ ، ولكنه محصلة خبرات طويلة .

وليس بنادر أن تجد مثل هذا القارىء ينفر من أسلوب ما ، لأنه يتسم في رأيه بالجفاف أو الرتابة أو الصعوبة والتعقيد وينعطف إلى أسلوب آخر ، لأنه يتصف في ميزانه بالثراء والتنوع أو اليسر والتشويق أما دارس الأدب فلا ينبغي له أن يكون مجرد قارىء متذوق لا يختلف عن سائر القراء إلا في الدرجة . بل إن عليه أن يتمتع بازدواجية تمكنه من أن يكون حين يشاء قارئا متذوقا ، وحين يشاء دارسا محللا . والحقيقة إن الفرق بين الموقفين هو الفارق ما بين ذاتية المتلقي وموضوعية الباحث .

(2) يعتقد المؤلف أن الأدب فن ولكن دراسة الأدب ينبغي أن يكون علما منضبطا . والعلم المنضبط يحتاج إلى أن تكون له فلسفة وموضوع

ومنهج يشتمل على معايير موضوعية للقياس والوصف والاستنباط . ومن ثم لابد لدراسة الأدب من استيفاء هذه الشروط لكي تكون جديرة بأن تحتل مكانها بين العلوم . ولكن المذاهب النقدية خضعت في نشأتها وتطورها لتأثيرات الاتجاهات والمدارس الفلسفية المختلفة ومن ثم حملت معها عيوب الفلسفة ومزاياها . ومن أخص هذه العيوب الاتفاق على عدم الاتفاق . والذي نلاحظه دائما أن دائرة الخلاف كثيرا ما تتسع كلما بعدنا عن «النص الأدبي» وخضنا بالحديث في بيئة النص وعصره وحياة مؤلفه على ما هو سائد في النقد التاريخي . أما حين يكون النص هو محور الاهتمام . وموضوع الدراسة فإن حديثنا يصبح أكثر التزاما بموضوعية العلم .

(3) المذهب الشكلي في النقد – حسب رأي المؤلف – يكاد يكون أقرب المذاهب النقدية إلى روح العلم . فقد استمد هذا المذهب فلسفته النظرية من الوضعية المنطقية وعبر عن نفسه أوضح تعبير في مؤلفات الناقد الشهير ايفور ريتشاردز . ولما كان فلاسفة الوضعية المنطقية يعتبرون اللغة كلها رمزا وجعلوا الدراسة الرمز اللغوي علما خاصا أطلقوا عليه مصطلح «السيميولوجيا» أو «السيميائيات» لذلك انعكس هذا كله في دراسة النقاد الشكليين فبرزت فيها أهمية التحليل اللغوي الذي قام على أساس من التمييز الواضح بين لغة العلم ولغة الأدب .

فهم لم يستعينوا بسيرة الشاعر ولا اعتمدوا على التاريخ ، ولا استندوا إلى علم الاجتماع وعلم النفس التحليلي في فهم العمل الأدبي وتقويمه . لقد عزفوا عن الدراسة التاريخية التي كانت تدور حول النص ، وانكبوا على النص ذاته .

وهكذا فإن المذهب الشكلي في النقد كان من أهم الاتجاهات التي نبهت إلى دراسة لغة النص ، ومهدت بذلك لاثارة اهتمام علماء اللغة الخلص بقضية الأسلوب وإقامة الجسور ما بين علم اللغة ودراسة الأدب .

(4) وهكذا فإن المؤلف يدعو إلى ضرورة العمل على إرساء منهج لساني في نقد الأدب العربي يكون فيه النص أولا وقبل كل شيء موضوع الدراسة ويكون منهج الدراسة فيه لسانيا بالمفهوم العلمي لهذا المصطلح .

لقد نشأت الدراسات اللسانية المعاصرة بمختلف اتجاهاتها تحت تأثير فكرة أساسية هي البنيوية . واستطاعت هذه الدراسات اللسانية – على اختلاف اتجاهاتها – أن تطور من أدواتها وأن تولي جانبا من همومها النظرية والتطبيقية لدراسة العمل الأدبي باعتباره نمطا متميزا من أنماط الاستعمال اللغوي وأن تنتقل بوسائلها المنهجية من العمل في إطار «نحو الجملة» – وهو النحو الذي يعتبر الجملة أكبر وحدة في التحليل اللغوي – إلى محاولة ترسيخ نمط جديد من التحليل اصطلح على تسميته «نحو النص» وهو النمط الذي يعتبر النص كله وحدة التحليل .

وفي رأي المؤلف ، ما تزال دراسة الأدب العربي بعيدة كل البعد عن الافادة من إنجازات الدرس اللغوي المعاصر في هذه السبيل . وهو أمر لا يثير دهشة ، إذ أن المدرس اللساني المعاصر نفسه ما يزال محدود التأثير على دراسة العربية .

(5) يتحدث المؤلف بعد ذلك عن الثمرات التي يمكن أن نجنيها باستخدامنا هذه المناهج اللسانية الحديثة في وصف النص الأدبي .

أول ثمرة هي الوقوف في وجه طوفان المصطلحات الذي تهدر به الدراسات الأدبية المتداولة ، إذ إنه من المستحيل إخفاء الصفة العلمية على أي دراسة لا تستعمل مصطلحات محددة المدلول .

ويتساءل المؤلف هنا هل يزيد القارىء العربي معرفة بزيد أو عمرو من الكتاب أو الشعراء أن يُقال له : إنه جزل الألفاظ ، متين السبك ، سلس الأفكار : عذب الموسيقى ، محلق الخيال ، قوي العاطفة ، أو أن يقال له – على عكس ذلك – أن أسلوبه يمتاز بالركاكة والضعف والجفاف وخمود العاطفة . ؟

إن شيوع هذه الألقاب في كتب التراث لا تسوغ للمعاصرين استعمالها دون تحديد ، فلا شك أن دلالاتها عند علماء السلف كانت واضحة . وحسب رأي المؤلف ، ليس من التجاوز أن نقول : إن غالبية الأحكام النقدية التي تنتشر في مؤلفات طه حسين هي من هذا القبيل .

وليست هذه الدراسات عند جمهرة من نقادنا المتأثرين بالثقافات الأجنبية بأوفر حظا من الدقة في هذا المضمار . ذلك أن أكثر هذه الدراسات تفر من مواجهة مشكلات البنية اللغوية في النصوص لتناقش مضامين مجردة عن أزمة الانسان المعاصر ، وقضايا العبث والغثيان والقلق والمخاض ، حتى إذا رجع إلى معالجة لغة النصوص وجدناه يستخدم التعبيرات الذاتية المرنة التي لا ترقى إلى أن تكون مصطلحات علمية ، أو يقع قريبا منها :

هذه المناقشة تقود المؤلف لأن يطرح السؤال التالي : ترى هل نعني بذلك أن «الأسلوبيات» هي البديل الموضوعي للنقد الأدبي؟ والجواب حسب رأيه أن ذلك قد يكون وقد لا يكون فهو من مسائل الخلاف . لكننا نحسب أن من الأمور التي ينبغي أن تكون موضع اتفاق لقربها من بداهة العقل أن التفسير والتقويم تاليان للوصف والتحليل . والأسلوبيات هي المرجوة لأداء مهمة الوصف والتحليل على خير وجه ممكن . وهكذا فإن الأسلوبيات ليست النقد كل النقد بل هي أساس لابد منه لتقويم العمل الأدبي تقويما موضوعيا .

(6) الواقع هناك معايير موضوعية كثيرة لتحليل النص الأدبي .. ولكن المؤلف يخص كتابه كله لنوع واحد من هذه المعايير الموضوعية هو القياس الكمي أو التحليل الاحصائي للنصوص الأدبية . أي أن النص الأدبي يمتاز عادة باستخدام سمات لغوية معينة من بينها :

1 . استخدام وحدات معجمية معينة .
2 . الزيادة أو النقص النسبيان في استخدام صيغ معينة أو نوع معين من الكلمات (صفات ، أفعال ، ظروف ... إلخ)
3 . طول الكلمات المستخدمة أو قصرها .
4 . طول الجمل .
5 . نوع الجمل .
6 . إيثار تراكيب أو مجازات معينة .

فهذه السمات اللغوية حين تحظى بنسبة عالية من التكرار وحين ترتبط بسياقات معينة على نحو له دلالته تصبح خواص أسلوبية تظهر في النصوص بنسب (Ratios) وكثافة (Density) وتوزيعات (Distributions) مختلفة .

يطلق على هذا النوع من الدراسة مصطلح «الأسلوبيات الاحصائية» وهي إحدى مجالات الدراسة اللسانية الأسلوبية المعاصرة .

2 . ماهية الأسلوب

(1) يبحث المؤلف هنا في المادة اللغوية المدروسة ليبين كيف يمكن أن تتلون وتتسم بطرائق مختلفة من أجل التعبير ... تلك الطرائق المختلفة المسماة بـ «الأساليب» .

إن العمل الأدبي هو رسالة موجهة من المنشىء إلى المتلقي تستخدم فيها نفس الشفرة اللغوية

المشتركة بينهما . ويقتضي ذلك أن يكون كلاهما على علم بمجموعة الأنماط والعلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية التي تكون نظام اللغة المشتركة . ولكن كيف يتميز هذا المنشىء أو ذاك بأسلوبه الخاص في استعمال اللغة؟

(2) يرى بعض الباحثين أن اللغة المعينة هي عبارة عن قائمة هائلة من الامكانات المتاحة للتعبير ومن ثم فإن الأسلوب يمكن تعريفه بأنه *«اختيار»* أو *«انتقاء»* يقوم به المنشىء لسمات لغوية معينة بغرض التعبير عن موقف معين .

وكون الأسلوب عند هؤلاء الباحثين اختيار لا يعني أن كل اختيار يقوم به المنشىء لابد أن يكون أسلوبيا ، إذ علينا أن نميز بين نوعين مختلفين من الاختيار :

ا - اختيار محكوم بالموقف أو المقام (context of situation) وهذا الانتقاء هو انتقاء نفعي ربما يؤثر فيه المنشىء كلمة أو عبارة على أخرى لأنها أكثر مطابقة في رأيه للحقيقة أو لأنه يريد أن يضلل سامعه أو يتفادى الاصطدام بحساسية تجاه عبارة أو كلمة معينة .

ب - اختيار محكوم بمقتضيات التعبير الخالصة . وهذا الانتقاء هو انتقاء نحوي . والمقصود بالنحو في هذا المصطلح قواعد اللغة بمفهومها الشامل الصوتية والصرفية والدلالية ونظم الجملة . ويكون هذا الانتقاء حين يؤثر المنشىء كلمة على كلمة أو تركيبا على تركيب لأنها أصح عربية أو أدق في توصيل ما يريد . ويدخل تحت هذا النوع من الانتقاء كثير من موضوعات البلاغة المعروفة كالفصل والوصل والتقديم والتأخير والذكر والحذف .

ويتحدد الشكل النهائي للنص بهذين النوعين من الاختيار ، أعني الاختيار النفعي والاختيار النحوي . والقول بأن الأسلوب اختيار ربما كان موافقا لما هو معلوم بالضرورة عن عملية الابداع ، واشتمالها بحكم طبيعتها على سلسلة من الاختيارات .

(3) وقد أولى فريق آخر من رواد الدراسة الأسلوبية اهتماما أكبر إلى ما يتولد عن الرسالة (أو النص) من ردود فعل لدى المتلقي ، ومن ثم أقام تعريفه للأسلوب على إبراز هذه الخاصية فيه . ويرى ميشيل ريفاتير أحد أعلام هذا الاتجاه - أن الأسلوب قوة ضاغطة تتسلط على حساسية القارىء بواسطة «إبراز بعض عناصر سلسلة الكلام ، وحمل القارىء على الانتباه إليها بحيث إن غفل عنها تشوه النص» .

ويرى المؤلف هنا وجود وشائج قوية بين مفهوم الأسلوب عند ريفاتير ونظرية التخييل الشعري التي استنبطها الفلاسفة المسلمون من شرحهم لكتاب الشعر الأرسطي ، ووصلت ذروة نضجها عند البلاغي العربي أبي الحسن حازم القرطاجني صاحب «منهاج البلغاء وسراج الأدباء» .

(4) وثمة رؤية أخرى للأسلوب ترى فيه مفارقة أو انحرافا عن نموذج آخر من القول ينظر إليه على أنه نمط معياري .

إن سوغ المقارنة بين النص المفارق والنص النمط هو تماثل السياق في كل منهما .

إن أداة التحليل الأسلوبي عند أصحاب هذا الرأي هي المقارنة بين الخصائص والسمات اللغوية في النص النمط مرتبطة بسياقاتها وبين ما يقابلها من خصائص وسمات في النص المفارق .

(5) والأسلوب - من وجهة نظر رابعة - ليس اختيارا ، ولا قوة ضاغطة ينبغي البحث عنها في ردود فعل المتلقي ، ولا انحرافا عن نمط معياري .

وإنما الأولى أن يعتبر إضافة.. وتفترض هذه النظرة ابتداء وجود تعبير محايد لا يتسم بأي سمة أسلوبية محددة يمكن أن يسمى بالتعبير غير المتأسلب أوتعبير ما قبل التأسلب ، ثم تكون السمات الأسلوبية إضافة إلى هذا التعبير المحايد لكي تنحو به منحى خاصا موافقا للعبارة عن سياق بعينه .

وتقتضي مهمة الباحث عند أصحاب هذا المفهوم القيام بعملية تجريد أو تعرية للعبارة المتأسلبة بغية الوصول إلى الجوهر المجرد قبل أن تكسوه هذه السمات الأسلوبية المعينة .

(6) أما وجهة النظر الخامسة فتميل إلى القول بأن الأسلوب تضمين (connotation) . وهذا يعني أن كل سمة لغوية تتضمن في ذاتها قيمة أسلوبية معينة ، وأنها تستمد قيمتها الأسلوبية من بيئة النص أو الموقف . وهذه القيمة قابلة للتغير بتغير البيئة التي توجد فيها والموقف الذي تعبر عنه .

(7) ويمكن رد الخلافات النظرية حول تعريف الأسلوب إلى مبادىء ثلاثة :

أولها : أن من ركز من الدارسين على العلاقة بين المنشىء والنص راح يلتمس مفاتيح الأسلوب في شخصية المنشىء . وانعكاس ذلك في اختياراته حال ممارسته للابداع الفني . وبذلك رأى أن الأسلوب اختيار .

ثانيها : أن من اهتم منهم بالعلاقة بين النص والمتلقي التمس مفاتيح الأسلوب في ردود الأفعال والاستجابات التي يبديها القارىء أو السامع حيال المنبهات الأسلوبية الكامنة في النص .

ثالثها : أن أنصار الموضوعية في البحث أصروا على عزل كلا طرفي عملية الاتصال وهما المنشىء والمتلقي ، ورأوا وجوب التماس مفاتيح الأسلوب في وصف النص وصفا لغويا .

وقد اختلف هؤلاء في الزاوية التي يتم الانطلاق منها إلى وصف النص على النحو الذي سبق بيانه ، فمنهم من قال بأنه انحراف عن نمط ومنهم من رأى بأنه إضافات إلى تعبير محايد ومنهم من رأى أنه خواص متضمنة في السمات اللغوية تتنوع بتنوع البيئة والسياق .

والحق أن هذه المناهج الموضوعية الثلاثة كما يقول اينكيفت إنما هي مناهج متكاملة أكثر من كونها بدائل .

(8) يتضح مما سبق أن الخلاف النظري هنا حول تعريف الأسلوب ليس من قبيل الخطأ والصواب : إن أي تعريف من التعريفات السابقة قابل لأن يكون أساسا للبحث وأن الطرز النحوية جميعها — بما في ذلك الطراز التقليدي — قابلة من حيث المبدأ لأن تشكل أساسا منهجيا للبحث الأسلوبي . فالجرجاني استطاع أن يصل إلى نظريته الأسلوبية التي عرفت بنظرية النظم من خلال استخدامه النحو العربي التقليدي أساسا لتمييز الأساليب .

وقد اتفقت المدرسة البنيوية والمدرسة التوليدية التحويلية على ظاهرة واحدة هي إعراضهما في أول الأمر عن تبني دراسة الأسلوب . ومرد ذلك إلى اهتمامها بالجملة باعتبارها أكبر وحدة قابلة للتحليل في المادة اللغوية . ولما كانت دراسة الأسلوب لا تكتفي بتحليل الجملة بل تتجاوزها إلى تحليل النص باعتباره هو في ذاته أكبر وحدة للتحليل وليس باعتباره مجرد سلسلة متتابعة من الجمل ، لذا فقد أحجم اللغويون في بادىء الأمر عن دراسة الأسلوب .

ولكن حيوية المشكلة الأسلوبية وطرافتها ، وصلتها الوثيقة باللغة كظاهرة وبدراستها كعلم

ما لبث أن اجتذبت اهتمام اللغويين من سلوكيين وتحويليين ، وظهرت ثمرة هذا الاهتمام عند تلامذة بلومفيلد من أمثال بلوخ وزيليغ هاريس وكينيث بايك . كما أعطت بعض الفرضيات عند التحويليين مثل فرضية القدرة اللغوية (Competence) والأداء (performance) وفرضية البنية الظاهرة والبنية الباطنة وفرضية الجملة النواة والجملة المحولة وفرضية القاعدة الجبرية (الملزمة) والقاعدة الاحتمالية وغيرها مجموعة التصورات المنهجية التي أعانت على تمييز الفروق بين الأساليب بطريقة علمية وموضوعية .

3 . الاحصاء ودراسة الأسلوب

(1) البعد الاحصائي في دراسة الأسلوب هو من المعايير الموضوعية الأساسية التي يمكن باستخدامها تشخيص الأساليب ، وتمييز الفروق بينها .

وترجع أهمية الاحصاء هنا إلى قدرته على التمييز بين السمات أو الخصائص اللغوية التي يمكن اعتبارها خواص أسلوبية وبين السمات التي ترد في النص ورودا عشوائيا . وبيان ذلك أنه ليس كل انحراف جديرا بأن يعد خاصة أسلوبية هامة ، بل لابد لذلك من انتظام الانحراف في علاقاته بالسياق .

لقد مر استخدام الاحصاء في دراسة اللغة بمرحلتين ، ساد في أولاهما اتجاه يهدف إلى قياس الخصائص العامة (أو المشتركة) في الاستعمال . أما في المرحلة الثانية فقد ساد اتجاه مقابل هدفه التوصل إلى الخصائص الفارقة (أو المميزة) بين الأساليب والحق أن الاتجاهين يتكاملان في دراسة الأسلوب لا يتسغنى بأحدهما عن الآخر .

(2) ومن الأسئلة المطروحة في مجال الأسلوب ودراسته سؤال عن مدى ارتباط المصطلح «أسلوب» بالمصطلح «أدب» . أو بعبارة أخرى : هل الأسلوب صفة مميزة للغة الأدب فحسب أو للغة الأدب والعلم إذا شئنا شيئا من التوسع؟ أم أن جميع أنواع الاستعمال اللغوي على اختلافها قابلة لأن تصنف باعتبارها أساليب ؟ .

هنا تبرز – على حد رأي المؤلف – إحدى ثمرات الارتباط بين دراسة الأسلوب واللسانيات حيث يتخذ منظور الأسلوب آفاقا أكثر رحابة توسع من محدودية النظرة القديمة . إن كثيرا من الدراسات الأسلوبية وإن كانت تولي عناية كبرى للغة الأدب — ترى أن الأسلوبية صفة يمكن إسباغها على أي نص من نصوص اللغة .

وبهذا المفهوم توجد وجوه شبه قوية بين الأساليب واللهجات ولا سيما اللهجات الاجتماعية حتى ليمكن القول بأن الأساليب إنما هي أنواع خاصة من اللهجات الاجتماعية . وينشأ عن ذلك أن مفهوم الأسلوبيات يمكن أن يكون أشمل من أن يقتصر على دراسة لغة الأدب .

وينبغي أن يكون واضحا أننا إزاء هذا النوع من الأساليب الجماعية لا نهتم بالفروق الفردية بين الأساليب وإنما نهتم بما يميز الأسلوب الأدبي من الأسلوب العلمي أو من الأسلوب الرسمي والأسلوب المستخدم في العبادات والشعائر الدينية ، وذلك بنفس الطريقة التي نميز بها بين اللهجات المهنية ولهجات المثقفين ولهجات اللصوص والخارجين على القانون .

إن هذه الانتماءات يصنفها المشتغلون باللسانيات الاجتماعية إلى صنفين رئيسين : أولهما الانتماء المتجانس أو المتوحد وثانيهما الانتماء المتعارض أو المتعدد .

وقد نجحت الجغرافية اللغوية – وهو العلم الذي يدرس اختلاف اللهجات في المكان – نجاحا

ملحوظا في رسم الحدود بين اللهجات وذلك بابتكار فكرة خط التوزيع (Isograph) وهو الخط الذي يفصل بين منطقتين متباينتين في نطق ما . وشجع هذا النجاح على استخدام فكرة خطوط التوزيع في تمييز الحدود اللهجية بين اللهجات الاجتماعية في منطقة واحدة ، وكذلك في تحديد الأساليب .

وتتنوع خطوط التوزيع إلى خطوط التوزيع المعجمي (isolexics) وخطوط التوزيع الصوتي (isophonics) وخطوط التوزيع الصرفي (isomorphics) وخطوط التوزيع النغمي (isotonics) وخطوط التوزيع النحوي (isogrammatics) .
وبعد رصد العلاقات المختلفة بين الاستعمالات اللغوية على المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية يتم رسم خطوط التوزيع الخاصة بكل مستوى .

(3) ويقود هذا المؤلف لأن يحدد العلاقة بين ما هو أسلوبي وما هو إحصائي عند دراسة أساليب الأعمال الأدبية . وحسب رأيه فإن الدراسة الأسلوبية تستعين بالاحصاء في المجالات الآتية :

أولا : المساعدة في اختيار العينات اختيارا دقيقا بحيث تكون ممثلة للمجتمع المراد دراسته .

ثانيا : قياس معدلات كثافة الخصائص الأسلوبية في عمل معين أو عند كاتب معين . فإذا أردنا على سبيل المثال قياس كثافة الجمل الاسمية (أو الفعلية) في نص معين قمنا بحساب عدد مرات تكرار الجمل الاسمية (أو الفعلية) في النص ثم نقسمها على طول النص (مقدرا بعدد الجمل الأخرى) وبذلك يمكننا تحديد كثافة الجمل الاسمية .

ثالثا : قياس النسبة بين تكرار خاصة أسلوبية وتكرار خاصة أخرى للمقارنة بينهما . ويتم حساب النسبة بإحصاء عدد مرات تكرار الخاصة الأولى وعدد مرات تكرار الخاصة الثانية في نص من النصوص وقسمة حاصل جمع تكرار إحداهما على حاصل جمع تكرار الأخرى .

ويمكن بهذه الطريقة حساب نسبة الجمل الاسمية إلى الجمل الفعلية أو نسبة الأفعال إلى الصفات ، أو نسبة الجمل الطويلة إلى القصيرة .

رابعا : قياس التوزيع الاحتمالي لخاصة أسلوبية معينة . إن التوزيع الاحتمالي كما يراه المؤلف يصف الاحتمال (أو التوقع) الذي تتكرر به ظاهرة ما في مجموعة من العينات .

خامسا : يخدم الاحصاء أيضا في التعرف إلى النزعات المركزية في النصوص . وبيان ذلك أن تميز نص باستخدام جمل طويلة مثلا لا يعني انعدام الجمل القصيرة في ذلك النص . بل كل ما يعنيه أن ثمة نزعة مركزية غالبة إلى استخدام الجمل الطويلة مع وجود إمكان محتمل لورود الجمل القصيرة .

(4) وطبقا لرأي المؤلف فإن هذه الاستخدامات المتنوعة لعلم الاحصاء تفيدنا في دراسة ومعالجة عدد كبير من قضاياه . إنها – بالاضافة إلى المعايير الموضوعية الأخرى – تسهم في تمييز الأساليب وتشخيصها على فرض تعاصر هذه الأساليب وهي ما يسمى بالدراسة السنكرونية كما أن استخدامها في تمييز التطور التاريخي للأساليب ليس بأقل جدوى ويسمى هذا النوع من الدراسة بالدراسة الدياكرونية .

(5) وتمتد الافادة من الاحصاء إلى منطقة تتصل اتصالا وثيقا بنقد الأدب ، وتغطي دائرة واسعة من المسائل النقدية مثل لغة الأدب ونقد الأسلوب بتمييز خصائصه كالتنوع أو الرتابة والسهولة أو الصعوبة والطرافة أو الاملال . ذلك لأن هذه الأحكام الذاتية التي يصدرها القراء وطائفة من النقاد الذين يحتكمون إلى أذواقهم المدربة ترتبط

بوجود منبهات هي في معظم الأحيان سمات لغوية معينة ترد في النصوص بتكرار معين ونسب وكثافات وتوزيعات معينة .

(6)هناك ميدان هام حقق فيه القياس الكمي نتائج طيبة ، ونعني به ميدان ترجيح نسبة النصوص مجهولة المؤلف أو المشكوك في نسبتها إلى مؤلفين بأعيانهم . وتشتد الحاجة إلى الاستعانة بالمنهج الاحصائي عندما تنعدم الشواهد التاريخية أو الوثائقية النصية التي يمكن الاعتماد عليها لترجيح قول على قول .

(7) ولا تنحصر أهمية القياس الكمي للأسلوب في مجالات الدراسة الأدبية عامة ، ونقد الأدب خاصة بل تتجاوزها إلى دائرة واسعة من العلوم الانسانية التي تهتم بعملية الاتصال اللغوي . ويأتي علم النفس اللغوي أو اللسانيات النفسية في مقدمة هذه العلوم ، حيث تستخدم هذه القياسات كمؤشرات هامة في التعرف إلى القدرات ودراسة كثير من الجوانب المتصلة بالشخصية والأسس النفسية للابداع القولي .

4 . قضايا أساسية في دراسة لغة الأدب

يعرض المؤلف هنا للاستفادات التي يمكننا أن نجنيها أن من الأسلوبيات عندما نطبقها على دراسة لغة الأدب بأنواعه المختلفة .

(1) أولى هذه الاستفادات حل الاشكال بين الأسلوب العلمي والأسلوب الأدبي . ويعرض بهذا الشأن لكتاب الأسلوب لأحمد الشايب الذي ميز بين الأسلوبين العلمي والأدبي بما يلي :

فالشايب يعتمد أولا على تقرير العقل الرزين مصدرا ، وعلى الافادة وخدمة المعرفة غاية الأسلوب العلمي . كما يعتمد على تقرير الانفعال (أو العاطفة) مصدرا ، وعلى الاثارة إلى جانب الافادة غاية الأسلوب الأدبي .

والشايب يضفي ثانيا على العبارة في الأسلوب العلمي صفة الدقة والتحديد والاستقصاء والسهولة والوضوح . على حين يصف العبارة في الأسلوب الأدبي بأنها تعرض الحقائق رائعة جميلة ، وأنها تمتاز بالجزالة والقوة والكلمات الموسيقية .

ويرى المؤلف أن جل ما ذكره صاحب كتاب الأسلوب ربما كان صادقا تمام الصدق من زاوية حساسية القارىء المثقف المتمرس تجاه النصوص ، ولكن جميع التصورات والمصطلحات المستخدمة عصية جدا على التقنين العلمي ، فكل أولئك مفاهيم نسبية مرنة إلى حد كبير . وأنى لنا – حسب رأي المؤلف – أن نميز على وجه الدقة مقدار السهولة أو الوضوح أو الجزالة أو القوة وغير ذلك من المصطلحات ما لم نستند في التحديد إلى معايير موضوعية تتخذ أساسا للحكم .

وحين لاحظ الباحثون وجود درجات متفاوتة من الأسلوب تتدرج ما بين الأسلوب الأدبي والأسلوب العلمي ظهرت فكرة تعترف بوجود قسيم ثالث شاعت تسميته بالأسلوب العلمي المتأدب .

(2) ثاني هذه الاستفادات هو التمييز بين لغة الشعر ولغة النثر وذلك التميز الذي هو أيسر على القارىء والباحث . وهذا حق إذا قبلنا معيار الشكل وهو الوزن والقافية أساسا للتمييز على حد تعريف قدامة بن جعفر .

ولكن وجود خصائص شعرية على درجات متفاوتة في بعض النثر وغياب هذه الخصائص الشعرية في بعض ما هو موزون مقفى دفعت بعض المنشئين العرب إلى أن يستحدثوا تحت تأثير الآداب الأوربية ما سمي بقصيدة النثر أو الشعر المنثور .

وينشأ عن هذه المناقشة على حد رأي المؤلف أننا إذا نحينا الاطار الشكلي من الوزن والقافية جانبا ــ وجدنا أنفسنا أمام مشكلة حقيقية حين نريد أن نميز لغة الشعر من لغة النثر . وهذه مسألة أخرى تضاف إلى مسألة التمييز بين لغة العلم ولغة الأدب . ولا شك ــ حسب رأي المؤلف ــ أن أفضل حل لهاتين المسألتين لا يتأتى إلا بمحاولة تحليل لغة النصوص كما أسلفنا .

(3) هناك مسألة ثالثة يمكن أن يلتمس حلها في تحليل لغة النصوص من الوجهة الأسلوبية وهي تنوع الأساليب بتنوع الأجناس الأدبية . ولعل من أهم الأفكار المستنيرة التي سبق إليها صاحب كتاب «الأسلوب» دعوته إلى اعتبار دراسة الأسلوب بديلا للبلاغة القديمة وإلى أن تشتمل هذه الدراسة فيما تشتمل على دراسة ما تتميز به فنون الأدب المختلفة كالمقالة والمقامة والخطبة والجدل والمناظرة وغيرها .

والسؤالان الواردان هنا هما : هل يتميز كل جنس من أجناس الأدب بسمات أسلوبية مميزة ؟ وهل تتنوع السمات الأسلوبية داخل العمل الأدبي الواحد تبعا لاختلاف المؤثرات التي تكيف البنية اللغوية والفنية للنصوص ؟ .

(4) من الطبيعي أن يكون لعلاج «لغة الأدب» منظوران : أحدهما «لغوي» والآخر «أدبي» وأن نتوقع من اللغويين والنقاد عملا دائبا نشطا في محاولة تشخيصها . ويبرز النقد الشكلي كواحد من أهم الاتجاهات النقدية التي أولت عنايتها لتحليل لغة العمل الأدبي ، وهذا ما عبر عنه الناقد الانكليزي أيفور رتيشاردز بنصه الشهير في كتابه «مبادىء النقد الأدبي» تحت عنوان «الوظيفة المزدوجة للغة : الوظيفة العلمية والوظيفة الانفعالية» .

وبالرغم من دعوى رتيشاردز أن التمييز بين الاستعمالين بسيط لم تحض أفكاره هذه بلا معارضة حتى بين النقاد أنفسهم ، وكان من بين معارضيه الناقد ج . رانسوم والناقدة إيزابيل هانجرلاند .

وقد أدى الجدل النقدي حول التمييز بين لغة العلم ولغة الأدب إلى تزايد اهتمام اللغويين بها وحفزهم على إنضاج مفاهيمهم وتصوراتهم المنهجية وتحسين وسائل الدراسة . وبذلك محاولة هامة للانتقال من دراسة قواعد تركيب الجملة إلى قواعد تركيب النص (أو الخطاب) .

5 . معادلة بوزيمان

(1) يحاول المؤلف هنا تقديم بديل موضوعي يمكن على أساسه تمييز الأساليب وحل القضايا التي أسلف الحديث عنها . وهي :

ا . تمييز لغة الأدب من لغة العلم .

ب . تمييز لغة الشعر من لغة النثر .

ج . تمييز اللغات المستخدمة في الأجناس الأدبية .

تعرف المعادلة التي تستخدم لقياس هذه الخصائص وتشخيص لغة الأدب تشخيصا كميا باسم معادلة بوزيمان نسبة إلى العالم الألماني أ . بوزيمان .

وخلاصة الفرض الذي وضعه أن من الممكن تمييز النص الأدبي بواسطة تحديد النسبة بين مظهرين من مظاهر التعبير : أولهما التعبير بالحدث أي الكلمات التي تعبر عن حدث أو فعل . وثانيهما التعبير بالوصف أي الكلمات التي تعبر عن صفة مميزة لشيء ما .

ويتم حساب هذه النسبة ــ بإحصاء عدد الكلمات التي تنتمي إلى النوع الأول وعدد كلمات النوع الثاني ثم إيجاد حاصل قسمة المجموعة الأولى على المجموعة الثانية . ويعطينا حاصل القسمة قيمة عددية تزيد وتنقص تبعا لزيادة ونقص عدد كلمات

المجموعة الأولى على المجموعة الثانية، وتستخدم هذه القيمة باعتبارها دالا على أدبية الأسلوب فكلما زادت كان طابع اللغة أقرب إلى الأسلوب الأدبي، وكلما نقصت كان أقرب إلى الأسلوب العلمي.

وانتهت بحوث بوزيمان إلى ملاحظة أخرى حول العلاقة بين اللغتين المنطوقة والمكتوبة تتلخص في القول بأن اللغة المنطوقة تمتاز بزيادة النسبة المذكورة على حين تمتاز اللغة المكتوبة بانخفاضها.

وبما أن معدل السرعة في الكتابة أكثر بطئا منه في النطق — لذا فإن الفواصل الزمنية بين تدوين الكلمات تؤدي إلى إتقان عملية تجسيد الأفكار وتحديدها ويؤدي هذا بدوره إلى مزيد من استخدام الصفات على حساب استخدام الأفعال.

وبالرغم من ملاحظة بوزيمان زيادة نسبة الأفعال (الحدث) في الأسلوب الأدبي عنها في الأسلوب العلمي، وفي الكلام المنطوق عنها في الكلام المكتوب نجده يقرر في دراساته الأولى أن هذه النسبة ثابتة في أسلوب الفرد. بيد أنه عدل في دراساته اللاحقة من دعواه الأولى.

وواضح من عرضنا للفرض الذي وضعه بوزيمان والمعادلة التي اقترحها أن نظرية بوزيمان قد تشكلت ملامحها في إطار البحوث السيكولوجية التي تهتم بدراسة الشخصية أو على وجه الدقة في إطار اللسانيات النفسية. وقد أسفر تطبيق المعادلة عن إمكانات كبيرة لقياس درجة الاستقرار العاطفي عند الأفراد وخاصة في بحوث علم نفس الطفل، كما اكتشف أيضا وجود ارتباط مرتفع بين زيادة هذه النسبة واتصاف الشخصية بخصائص معينة مثل الحركية والعاطفية وانخفاض درجة الموضوعية والعقلانية وعدم توخي الدقة في التعبير.

(2) على الرغم من صحة هذه الفرضية إلا أن الباحثين قد لاحظوا غموض المصطلحين اللذين استخدمهما في صياغة معادلته وهما: الحدث والوصف. ورأوا أن تطبيقهما على النصوص اللغوية يوقع في الكثير من الحيرة والارتباك وأن تحديد انتماء الكلمات إلى أي من هذين النوعين يتم أحيانا بقدر غير قليل من التخمين مما يؤثر على انضباط المقياس وموضوعيته.

وإذا كانت هذه الملاحظة صائبة بالنسبة للغة الألمانية فإنها صادقة إلى حد كبير على اللغة العربية، فنحن نعلم أن اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة باسم الفاعل، كل أولئك وصف يعمل عمل الفعل ومن ثم فإن تحديد انتماء أيها إلى كلمات الحدث أو كلمات الوصف يبدو مشكلة ليست يسيرة الحل.

وإحساسا بضرورة استعمال مصطلح واضح المفهوم يمكن التعرف على ما طوره عالم النفس الألماني نويباور والباحثة انسبروك لتبسيط المعادلة وتدقيق صياغتها وذلك باستخدام عدد الأفعال بدلا من قضايا الحدث، واستخدام عدد الصفات بدلا من قضايا الوصف وبذلك اتخذت المعادلة الشكل الآتي:

$$\text{نسبة الفعل إلى الصفة} = \frac{\text{عدد الأفعال}}{\text{عددالصفات}}$$

(3) وزيادة في تدقيق المقياس جرى تحديد المصطلحين «فعل» و «صفة» في الدراسات التي أجريت على الانكليزية والألمانية. وقد شملت فصيلة الأفعال جميع الأفعال باستثناء الأفعال المساعدة. وأما «الصفات» فقد شملت جميع الكلمات الواقعة صفة في التعبير صفة + موصوف بما في ذلك الأسماء الجامدة إذا استخدمت كصفات.

أما بالنسبة للغة العربية فإننا نستثني من الاحصاء الأنواع الآتية:

١. الأفعال الناقصة.

ب . الأفعال الجامدة .
ج . أفعال الشروع والمقاربة .

أما بالنسبة لعدد الصفات فقد أخرج المؤلف منها الجملة التي تقع في النحو التقليدي صفة . وفيما عدا ذلك فقد شمل الاحصاء جميع الأنواع الأخرى من الصفات بما في ذلك الجامد المؤول بالمشتق كالمصدر الواقع صفة والاسم الموصول بعد المعرفة . والمنسوب ، واسم الاشارة الواقع بعد معرفة .

(4) يتناول المؤلف هنا أثر صياغة العمل الأدبي على نسبة الفعل إلى الصفة (ن ف ص) ليخرج بالمقولات التالية :

ا . الكلام المنطوق يمتاز بارتفاع (ن ف ص) في مقابل انخفاضها في الكلام المكتوب .
ب . نصوص اللهجات تمتاز بارتفاع (ن ف ص) في مقابل انخفاضها في النصوص الفصحى .
ج . النصوص الشعرية تمتاز بارتفاع (ن ف ص) في مقابل انخفاضها في النثر .

وحسب رأي المؤلف تختلف (ن ف ص) ارتفاعا وانخفاضا باختلاف فنون القول في الشعر والنثر على النحو التالي :

ا . تمتاز الأعمال الأدبية (القصة والقصيدة والرواية والمسرحية) بارتفاع (ن ف ص) في مقابل انخفاضها في الأعمال العلمية .
ب . يمتاز النثر الأدبي بارتفاع (ن ف ص) في مقابل انخفاضها في النثر الصحفي .
ج . ترتفع (ن ف ص) في قصص الجنّيات وتتناقص في الحكايات الشعبية .
د . يمتاز الشعر الغنائي بارتفاع (ن ف ص) في مقابل الشعر الموضوعي (المسرحي مثلا) .

ومن أهم مؤثرات الصياغة طريقة العرض . وقد استظهر أنتوش من دراسته لبعض الأعمال الروائية في الألمانية أربعة أنواع من طرق العرض هي :

ا . الحوار الطبيعي .
ب . المونولوج .
ج . الكتابة السردية والوصفية خالصة .
د . الأحاديث المتناثرة في الأجزاء السردية من النص .

وقد دلت المؤشرات الاحصائية في بحث أنتوش على مايلي :

أولا : أن نسبة (ن ف ص) في السرد والوصف أقل منها في المونولوج وفي المونولوج أقل منها في الحوار .

ثانيا : أن نسبة (ن ف ص) مع السرد تكون أعلى إذا كان السرد من وجهة نظر شخصية منها إذا كان السرد مجرد وصف مباشر على لسان المؤلف نفسه .

(5) النوع الثاني من المؤثرات التي تؤدي إلى ارتفاع قيمة (ن ف ص) أو انخفاضها هو ما سماه المؤلف بمؤثرات المضمون . ومن أهم هذه المؤثرات :

ا . العمر : إن نسبة (ن ف ص) في الطفولة والشباب هي عالية وتتجه إلى الانخفاض في الكهولة .
ب . الجنس : تميل نسبة (ن ف ص) إلى الارتفاع عند النساء في مقابل ميل واضح إلى انخفاضها عند الرجال .

(6) وحسب رأي المؤلف فإن الارتفاع والانخفاض في قيمة (ن ف ص) هو نسبي وليس مطلقا . وهذا الارتفاع والانخفاض النسبي مرتبط بعدد من المؤثرات التي عالجناها من قبل . وهذه المؤثرات سواء أكانت مؤثرات صياغة أو مؤثرات مضمون تمارس تأثيرها على قيمة (ن ف ص) في اتجاهات مختلفة ، فبعضها ينحو بها نحو الارتفاع وبعضها ينحو بها نحو الانخفاض . وقد تجتمع في

النص الواحد مؤثرات من نوع واحد أي تعمل في اتجاه واحد إما نحو الارتفاع وإما نحو الانخفاض . كما قد نجد في أحيان أخرى بعض النصوص مشتملا على مؤثرات تعمل في اتجاهات متعارضة بحيث يكون الأثر المتوقع لبعضها رفع قيمة (ن ف ص) ، والأثر المتوقع لبعضها الآخر هو خفض قيمة (ن ف ص) . وتكون النتيجة إما أن يضعف بعضها بعضا أو أن يلغي أحد الاتجاهين أثر الاتجاه المضاد ، كما قد يؤدي ذلك إلى تحييد دلالة (ن ف ص) في بعض الأحيان .

6 . أمثلة تطبيقية من الأساليب النثرية

يطبق المؤلف هنا معادلة بوزيمان على ثلاثة كتب أدبية وفكرية وهي : «مستقبل الثقافة في مصر» لطه جسين ، و «الأيام» أيضا لطه حسين ثم كتاب «حياة قلم» لعباس محمود العقاد .

وهو من خلال هذاالتطبيق يعقد مقارنة بين أسلوب «مستقبل الثقافة في مصر» وبين أسلوب «الأيام» ويتوصل إلا أن نسبة (ن ف ص) في الكتاب الأول (مستقبل الثقافة) هي (0 و 2) أما في الكتاب الثاني (الأيام) فهي (6 و 4) .

ويبرر المؤلف لهذه النتيجة بأن التوقعات من السيرة الذاتية باعتبارها جنسا أدبيا قوامه القص والسرد الشخصي والحديث عن الذكريات والمواقف المؤثرة على الكاتب — أن تتميز باتجاه (ن ف ص) فيها نحو الارتفاع (6 و 4) في مقابل النصوص التي يكتبها الكاتب ليعالج بها قضية علمية أو اجتماعية . فعلى حين ينتمي «الأيام» إلى فن السيرة الذاتية يتناول الكتاب الثاني اراء طه حسين في نظام التعليم ، وطرق إصلاحه في مصر وتحديد الانتماء الثقافي لها .

وبعد ذلك يعقد المؤلف مقارنة بين كتاب «حياة قلم» لعباس محمود العقاد وبين كتاب «الأيام» لطه حسين . وقد وجد المؤلف أن حساب (ن ف ص) في الكتابين يؤدي إلى فروق ذات دلالة :

أولها : أن أسلوب «الأيام» أقرب إلى الطابع الأدبي والانفعالي على حين يبدو الطابع الذهني العقلاني أكثر ظهورا في أسلوب «حياة قلم» .

ثانيها : تنوع الموضوع عند طه حسين في «الأيام» أثر على قيمة (ن ف ص) فرفعها في حين أن عدم تنوع الموضوع عند العقاد في «حياة قلم» أضعف قيمة (ن ف ص) .

ثالثها : أن أسلوب العقاد في كتابته أسلوب كتابي خالص ، أما أسلوب طه حسين فيقع وسطا ما بين أسلوب الحديث وأسلوب الكتابة . إذ أن أسلوب الحديث يرفع من قيمة (ن ف ص) . حتى أن العقاد نفسه التفت إلى هذه الخاصية عند طه حسين فقال عنه «إنه يكتب ولا ينسى أنه يتحدث ، ويتحدث ولا ينسى أنه يكتب» .

وقد اختار المؤلف أيضا بعض النماذج من لغة الصحافة المعاصرة لحساب قيمة (ن ف ص) . ومن هذه النماذج : جريدة «الندوة» السعودية وجريدة «الشرق الأوسط» .

وقد استنتج أن نسبة (ن ف ص) هي نسبة منخفضة في الأسلوب الصحفي إذا ما قورنت بالأسلوب الأدبي .

7 . الأسلوب في المسرحية

(1)يكتسب استخدام مقاييس بوزيمان في تشخيص أسلوب المسرحية حسب رأي المؤلف أهمية خاصة ، وذلك لما تتميز به المسرحية من تعقد من حيث اللغة المستخدمة فيها ، ونماذج الشخصيات وتنوع الحوادث والحوار .

وهنا تبرز فرضيتان : أولاهما أن الكلام المنطوق يمتاز بارتفاع قيمة (ن ف ص) في مقابل انخفاضها في الكلام المكتوب .

وثانيتهما أن النصوص الشعرية تمتاز بارتفاع قيمة (ن ف ص) في مقابل النصوص النثرية .

وإزاء هاتين الفرضيتين تبرز قضيتان هامتان عند دراسة الأسلوب في المسرحية حول طبيعة هذا الأسلوب من حيث ارتفاع قيمة (ن ف ص) أو انخفاضها ، ذلك أن المسرحية تكتب لينطق بها الممثلون على المسرح وإذن فهل تكون طبيعة الأسلوب فيها أقرب إلى الكلام المكتوب أم إلى الكلام المنطوق؟

أما القضية الثانية فتطرح المشكلة نفسها ولكن بالمقارنة بين المسرحية الشعرية والمسرحية النثرية في الأدب العربي ، ذلك أننا إذا افترضنا أن المسرحية النثرية أكثر قربا من الكلام العادي فإن معنى ذلك أن تسجل (ن ف ص) في المسرحية النثرية قيمة أعلى من قيمتها في المسرحية الشعرية . أما إذا نظرنا إلى المشكلة من زاوية التمييز بين الشعر والنثر فإن النتيجة ستكون عكس ما ذكرنا تماما ، أي أن قيمة (ن ف ص) في المسرحية الشعرية ستكون أعلى من قيمتها في المسرحية النثرية بسبب ما تتميز به النصوص الشعرية من خاصية ارتفاع قيمة (ن ف ص) فيها بالنسبة للنصوص النثرية .

(2) وفي محاولة لاستخدام المقياس (ن ف ص) لتحليل الأساليب في المسرحيات العربية قام المؤلف بإحصاء شامل لقيمة (ن ف ص) في مسرحيات أحمد شوقي . وقد خرج بنتائج حساب قيمة (ن ف ص) في كل مسرحية من المسرحيات التالية :

ـــ مصرع كليوباترا	: ن ف ص = 6 و 7
ـــ مجنون ليلى	: ن ف ص = 8 و 7
ـــ الست هدى	: ن ف ص = 9 و 10
ـــ أميرة الأندلس	: ن ف ص = 0 و 5

وقد استنتج المؤلف من هذه الأرقام نتائج عدة ذات دلالة تدعم استخدام العملية الاحصائية بشكل عام ومعادلة بوزيمان بشكل خاص في تحليل الأساليب في الأنواع الأدبية كافة .

8 . الأسلوب في الرواية

(1) الرواية من أهم الأجناس الأدبية وأحدثها تاريخا في أدبنا العربي وهي بحكم كونها بنية فنية معقدة تتيح للدراسة الأسلوبية مجالا من أخصب مجالات التطبيق وتتعدد مداخل دراسة الرواية بنيويا وأسلوبيا . لذلك حاول المؤلف هنا معالجة لغة الرواية من المنظور الاحصائي الأسلوبي متناولا على وجه التحديد كيفية استخدام دلالة (ن ف ص) على تشخيص أساليب الرواية وتحديد نوع العلاقة التي تربط بين الكاتب وشخصيات روايته ، وقياس الأبعاد الدرامية لهذه الشخصيات .

(2) وفي محاولته للافادة من مقاييس بوزيمان في دراسة الرواية العربية اختار المؤلف للمقارنة نموذجين من كتاب الرواية لا يكاد يشك قارىء أو ناقد في تباينهما تباينا كبيرا سواء في الاتجاه أو الأسلوب أو فنية البناء الروائي وهما محمد عبد الحليم عبد الله في روايته «بعد الغروب» . ونجيب محفوظ في روايته «ميرامار» .

وقد استنتج المؤلف من المقارنة أن الحوار في رواية «ميرامار» حوار طبيعي أي من النوع المسرحي المركز وليس كذلك الحوار في رواية «بعد الغروب» . ويستنتج المؤلف أيضا أن أسلوب نجيب محفوظ أكثر اتساقا مع المعايير المميزة للغة السرد من لغة الحوار .

إن إتقان نجيب محفوظ وبصره بالأساليب قد انعكس واضحا في المقياس الذي استخدمه المؤلف

على هيئة انتظام في العلاقة بين السرد والحوار وأن اختلاط اللأسلوبين عند محمد عبد الحليم عبد الله انعكس واضحا أيضا في اضطراب هذه العلاقة .

ويعتبر المؤلف أن استخدامه لمعادلة بوزيمان في تشخيص أسلوب نجيب محفوظ قد بين سرا من أسرار عظمة الكتابة التي يكتبها هذا الرجل .

9 . النتيجة التي توصل إليها المؤلف

إن الفكرة الأساسية التي قام عليها كتاب «الأسلوب : دراسة لغوية إحصائية» كما يذكر المؤلف هي استخدام النسبة بين الصفات والأفعال في النصوص مؤشرا إحصائيا يتم على أساسه تشخيص الأساليب وسير العلاقة بين الكاتب وأبطال عمله المسرحي أو الروائي ، وقياس البعد الدرامي للشخصية .

ويحاول المؤلف هنا إيجاز المجالات المتعددة التي يمكن أن تستخدم في علاجها المعادلة التي تعرف بمعادلة بوزيمان وهذه هي :

أولا : في اللسانيات النفسية

(1) قياس درجة الانفعال .
(2) قياس درجة التوازن العاطفي .
(3) قياس الحركية .
(4) قياس دقة التعبير ودرجة موضوعية .

ثانيا : بالنسبة للمؤلف

(1) يمكن تمييز شخصية المؤلف حين يتحدث عن نفسه حديثا مباشرا .
(2) يمكن تمييز جنس المؤلف (من حيث الذكورة والأنوثة) .
(3) يمكن تحديد مراحل عمر المؤلف من الشباب إلى الكهولة إلى الشيخوخة .

ثالثا : بالنسبة للأعمال الأدبية

(1) يمكن تمييز الأعمال العلمية من الأعمال الأدبية .
(2) يمكن تمييز الشعرية من النثرية .
(3) يمكن تمييز اللغة المنطوقة من المكتوبة .
(4) يمكن تمييز نصوص الفصحى من اللهجات .
(5) يمكن تمييز الحكايات الشعبية من القصص والروايات معروفة المؤلف .
(6) يمكن تمييز المسرحيات كجنس أدبي على أساس علاقتها باللغة المنطوقة أو المكتوبة وبنوعية اللغة المستخدمة فيها فصحى أو لهجات .
(7) يمكن تمييز فنون الشعر المختلفة .
(8) يمكن تمييز أساليب وطرق العرض في المسرحية والرواية مثل :
ا . المونولوج (كلام الفرد) .
ب . الديالوج (الحوار) .
ج . السرد والوصف .
د . الأحاديث الطويلة .
هـ . الأحاديث القصيرة .
و . الشخصيات في المسرحية أو الرواية .
ز . درامية الموقف .
ح . ربط تغير قيمة (ن ف ص) بالتطور الدرامي في المسرحية أو الرواية .

ويتم تفسير هذه العوامل على أساس تصنيفها إلى :

(1) عوامل تنزع بقيمة (ن ف ص) نحو الارتفاع .
(2) عوامل تنزع بقيمة (ن ف ص) نحو الانخفاض .
(3) وقد يتفق للعمل الأدبي أن تجتمع فيه بعض المؤثرات التي تعمل في اتجاه واحد (سواء نحو الارتفاع أو الانخفاض) .

وقد تجتمع فيه مؤثرات متضاربة ، وتكون المحصلة هي نتاج عمل هذه المؤثرات باتجاهاتها المختلفة .

10 . نقد الكتاب وتحليله

لاشك في أن كل دراسة منهجية لظاهرة من الظواهر الانسانية أو الطبيعية لابد أن تثمر عن نتائج معينة سواء أكانت هذه النتائج إيجابية أم سلبية أم إيجابية وسلبية في الوقت نفسه . ويبدو لي أن معطيات النتائج إنما تتحدد بمعطيات المنهج من ناحية وبكيفية استخدام هذا المنهج من ناحية أخرى . ونعني بكيفية استخدام المنهج الأدوات المستخدمة في عملية التحليل كالتفكير العلمي والعملية التحليلية نفسها ، أضف إلى ذلك بناء الفرضيات والنظريات القائمة على وصف الظاهرة المدروسة .

من هنا سأعالج الكتاب من خلال بعدين اثنين الأول : البعد المنهجي والثاني البعد البراغماتي النفعي . على أنني لن أتوقف كثيرا عند البعد الأول والوسائل التقنية المستعملة فيه ذلك لأنه مهما اختلفت هذه الوسائل التحليلية فلن تؤثر على تقييم العمل لأنه كما يقال العبرة في النتائج . وهكذا فإن نقد الكتاب وتحليله سيعالجان الجوانب الايجابية والجوانب السلبية للمنهج وللنتائج التي توصل إليها المؤلف .

ا . الجوانب الايجابية

تميز الكتاب بسمات إيجابية عدة يمكن أن نجملها بما يلي :

(1) إن إثارة موضوع «الأسلوبيات» ولفت انتباه القارىء العربي لهذا الموضوع الجديد في حقل الثقافة العربية المعاصرة تعد عملا رائدا في هذا المجال ، ذلك لأن الذين بحثوا في هذا الموضوع قلائل جدا في الوطن العربي(2) فالدكتور سعد مصلوح تناول الأسلوبيات من ثلاثة أبعاد رئيسية تصف كل علم من العلوم الانسانية والطبيعية بها وهي حد الأسلوبيات (أي تعريف ماهيتها) والموضوعات التي تتناولها ثم الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها وبهذا فقد قدم خدمة جلى للقارىء العربي الذي لم يألف مثل هذه الدراسات العلمية الدقيقة للأساليب الأدبية واللغوية والاجتماعية .

وقد كانت المعلومات التي قدمها الباحث جديدة وطازجة وذلك بسبب ثقافته العربية التأثيلية الأصيلة ثم لغته الأجنبية التي فتحت الأبواب أمامه لينهل من هذا العلم الجديد مادة ومنهجا . وهكذا فقد جاءت هذه المعلومات الأسلوبية (العربية و الأجنبية) في إطار واضح وسهل وممتع لا لبس فيه ولا غموض .

(2) إن هذه المعلومات الأسلوبية العربية والأجنبية (القديمة منها و المعاصرة) تقودنا إلى صفة ثانية تمتع بها الباحث الدكتور سعد مصلوح وهي الجمع بين الثقافة العربية التراثية المتعلقة بالدراسات الأسلوبية وبين الثقافة الغربية المعاصرة التي طورت الدراسات الأسلوبية بحيث أصبحت علما قائما بنفسه له قوانينه ومبادئه ونظرياته ومناهجه .

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على خاصة مهمة لفكر الباحث وهي أنه أراد لكتابه أن يتميز بسمتين اثنين هما سمة التنظير وسمة التطبيق . أما عن السمة التنظيرية الأولى فقد استطاع المؤلف أن يقدم للقارىء العربي المبادىء والقوانين الهامة في الأسلوبيات وأن يعقد في الوقت نفسه مقارنة بينها وبين تلك المبادىء والقوانين البلاغية والنقدية التي أتى بها العرب القدامى ، كلما احتاج السياق إلى ذلك . فعلى سبيل المثال لا الحصر يعقد المقارنة التالية (ص 27) :

«ونحب أن نقرر هنا وجود وشائج قوية بين مفهوم الأسلوب عند ريفاتير ونظرية التخييل الشعري التي استنبطها الفلاسفة المسلمون من شرحهم لكتاب الشعر الأرسطي ووصلت ذروة

نضجها عند البلاغي العربي أبي الحسن حازم القرطاجني صاحب «منهاج البلغاء وسراج الأدباء» ... » .

أما ما يتعلق بالسمة التطبيقية الثانية فإن المؤلف حاول أن يستفيد من التنظير القديم والحديث ويطبقه على نماذج نثرية من الأدب العربي ، لذلك نراه يتناول كتابي طه حسين «مستقبل الثقافة في مصر» و «الأيام» بأجزائه الثلاثة ليعقد مقارنة أسلوبية حديثة بين هذين الكتابين من جهة وبين كتاب آخر لعباس محمود العقاد هو «حياة قلم» .

لقد كانت المقارنة علمية وموضوعية إذ استخدم المؤلف بشأنها معادلة بوزيمان الاحصائية التي تستطيع أن تبين مدى أدبية الأسلوب ومدى علميته في الوقت نفسه ، أما النتائج التي توصل إليها المؤلف فتبقى ممتعة ورائعة لها دلالاتها النفسية والفكرية والاجتماعية . أضف إلى ذلك أنه استخدم هذا المعيار الاحصائي في مجال الرواية والمسرحية . ففي المجال المسرحي درس المؤلف أربع مسرحيات لأحمد شوقي هي :
مصرع كليوباترا ــ مجنون ليلى ــ الست هدى ــ أميرة الأندلس .

وقد خلص المؤلف من خلال دراسته لهذه المسرحيات إلى نتائج مهمة تدعم استخدام العملية الاحصائية في تحليل الأساليب الأدبية .

أما في مجال الرواية فقد عقد المؤلف مقارنة طريفة بين روايتين هما «بعد الغروب» لمحمد عبد الحليم عبد الله و «ميرامار» لنجيب محفوظ .
وقد خرج المؤلف بنتائج مهمة تتعلق بالحوار والمونولوج والسرد والوصف والشعرية والنثرية التي تسم الروايتين المذكورتين .

المهم في هذا الموضوع هو العلاقة الرائعة التي عقدها المؤلف بين النظرية الأسلوبية (القديمة والمعاصرة) وبين تطبيقاتها على الأنواع الأدبية النثرية والمسرحية والروائية . وهذا مؤشر إيجابي على صحة المنهج الذي اتبعه المؤلف والذي يدل على صحة النتائج التي توصل إليها (إلى حد ما) .

(3) استفاد المؤلف (إلى حد ما وليس الاستفادة كلها) من بعض الأدوات المنهجية الموجودة في علوم مختلفة كاللسانيات وعلم الاحصاء وعلم النفس وعلم الاجتماع لاستخدامها في دراسة الأساليب . من هذه الأدوات مثلا :

البنية السطحية والبنية العميقة ــ الأداء اللغوي والمقدرة اللغوية ــ الكلام واللغة ــ الجغرافية اللغوية ــ الدراسة السنكرونية والدراسة الدياكرونية ــ معادلة بوزيمان الاحصائية ــ المضامين النفسية للكاتب والنص والمتلقي ــ المضامين الاجتماعية للغة أفرادا وجماعات .

وهكذا فإن المنهج الأسلوبي الذي انطلق منه المؤلف لدراسة الظواهر الأسلوبية للنصوص كان منهجا متماسكا استطاع التوصل إلى بعض النتائج المهمة على الصعيد اللغوي والاحصائي والنفسي والاجتماعي وحتى الفلسفي إلى حد ما .

(4) هناك سمة علمية إيجابية مهمة تميز بها فكر المؤلف هي سمة الانفتاح والنقاش والنسبية في الحقائق . فالنتائج التي توصل إليها المؤلف كانت ذات صفة نسبية مفتوحة وليست ذات صفة دوغمائية مغلقة .

والواقع إن هذه السمة العلمية هي سمة العلم المعاصر الذي يتطلع إلى الكشف الدائب من خلال الاجتهاد المفتوح . من هنا فإننا نجد أن المؤلف حين يطرح قضية ما فإنه يتناولها بهذا الشكل (ص 18) :

«ترى هل نعني بذلك أن علم الأسلوب هو البديل الموضوعي للنقد الأدبي؟ وجوابنا أن ذلك قد يكون وقد لا يكون، فهو من مسائل الخلاف ... لكننا نحسب أن من الأمور التي ينبغي أن تكون موضع اتفاق لقربها من بداهة العقل أن التفسير والتقويم تاليان للوصف والتحليل ، وعمل الأسلوب هو المرجو لأداء مهمة الوصف والتحليل على خير وجه ممكن ... » .

وهكذا فإن أغلب الحقائق التي استنتجها المؤلف من خلال دراسته هي حقائق قابلة للتحقق والامتحان والاجتهاد المستمر . من هنا فقد امتاز المؤلف بصفة الباحث العلمي التجريبي .

(5) وأخيرا ينبغي أن ننظر إلى هذه الدراسة التي وردت في الكتاب على أنها جزء لا يتجزأ من سلسلة يسعى المؤلف لتحقيقها في الدراسات الأسلوبية . فقد تميز هذا الكتاب بأنه أولى ثمار هذه السلسلة لذلك نراه يقول بهذا الشأن (ص 8) :

«ومن ثم استعنت الله سبحانه في وضع مكتبة أرجو أن تكون متكاملة في قضايا التحليل الأسلوبي ومناهجه ، ومشكلاته النظرية والتطبيقية ويمثل هذا الكتاب أولى ثمارها» .

من هنا ينبغي علينا أن نتطلع إلى النتائج التي خلص إليها المؤلف على أنها نتائج خاضعة للفحص والتدقيق والتجريب ومن ثم التطوير ، تلك النتائج التي تؤدي إلى رؤية دقيقة لبنية النصوص الأدبية صوتا ونحوا ودلالة . ذلك لأن هدف المؤلف وضع هذا النموذج الأسلوبي أمام دارس الأدب للاطلاع على الأفكار الواردة فيه من أجل تطوير النقد الأدبي المعاصر ووضع عجلته إلى الأمام ليكون علما منضبطا قائما برأسه .

ب . الجوانب السلبية

إذا كانت الأفكار التي وردت في هذا الكتاب خاضعة للدرس والتحقيق والاجتهاد من أجل تطوير الدراسات الأسلوبية والنقدية معا فإنني لا أجد حرجا من الاشارة إلى بعض السلبيات التي وسمت الكتاب والتي يمكن إجمالها بما يلي :

(1) أولى هذه السلبيات هي عدم الثبوتية والانسجام (consistency) في تطبيق المنهج على الأنواع الأدبية كافة . فبعد أن رسم الباحث خطوط المنهج الأسلوبي نراه يطبقه على بعض النصوص النثرية والأدبية المسرحية منها والروائية . ولكنه لم يطبقه على النصوص الشعرية . وبما أننا اعتبرنا الأسلوبيات علما يدرس جميع أنماط الأساليب الأدبية وغير الأدبية ، أي جميع الاستعمالات اللغوية الخاضعة للشرط الاجتماعي المتغير والمتلون فإنه كان من الأفضل من حيث المنهج والمادة أن يختار المؤلف بعض النصوص الشعرية وبعض النصوص المتعلقة بالاستعمالات اللغوية الخارجة عن نطاق الأدب بأنواعه المختلفة وذلك لكي يتحقق من صحة المنهج الأسلوبي الجديد الذي وضعه .

والواقع إن الكتاب لا يكتمل منهجا ومادة إلا بدراسة هذه النصوص الشعرية واللغوية لكي يكون العمل وافيا وكافيا وشاملا . ذلك لأن أهم صفة في أي منهج علمي منضبط هي الشمولية التي هي نتيجة لذلك الانتقال من الجزئيات إلى الكليات لكي يأخذ التطبيق صفة الشرعية والعالمية .

(2) بما أن الأسلوبيات تستخدم معايير موضوعية عديدة من أجل أن تطبقها على تحليل النصوص فإن المؤلف لم يستخدم إلا معيارا واحدا من هذه المعايير هو معيار الاحصاء . والواقع هناك معايير كثيرة بالاضافة إلى معيار الاحصاء يمكن

للأسلوبيات استخدامها من أجل دراسة النصوص كمعيار التواصلية اللغوية التي تبحث في المرسِل والمرسَل إليه والقناة الموصلة والمدونة أو النص والوضع ثم التوضيع .

وهناك المعيار النفسي الذي يبحث في الانفصام أو الاندماج مع النص والتعاطف مع النص والموقف النفسي لمنشيء النص ومتذوقه ، ثم الظروف النفسية التي تمخض عنها النص وما إلى ذلك من المفاهيم النفسية المفيدة جدا في كشف قناع المعنى عن النص المدروس .

أضف إلى ذلك أن هناك معايير اجتماعية وأنثروبولوجية ودينية مهمة جدا في كشف المعنى وهتك حجابه سواء على صعيد المؤلف أم المتلقي أم السياق الذي انتج النص .

إن الفكرة الرئيسية هنا هي أن المؤلف لم يستخدم معايير موضوعية عديدة (لا نظريا ولا تطبيقيا) لدراسة النصوص دراسة أسلوبية . وهذا يقودنا إلى التساؤل حول النتائج التي توصل إليها المؤلف من خلال استخدامه معيارا واحدا هو معيار الاحصاء . ذلك لأنه لا يمكننا التيقن من مدى صحة هذه النتائج ودقتها إلا باستخدام هذه المعايير الموضوعية الآنفة الذكر .

إن معيار الاحصاء لاشك في أنه قد يأتي ببعض الحقائق الأسلوبية حول بنية النص ووظيفته ولكنه لا يستطيع أن يأتي بكل الحقائق التي تدور حول المؤلف والمتلقي والسياق النفسي والاجتماعي والأنثروبولوجي ... إلخ . إن أية دراسة تريد لنفسها الضبط العلمي لابد أن تستخدم جميع المعايير الموضوعية التي يمكنها أن تكشف لنا بنية النصوص المدروسة شكلا ووظيفة .

(3) وهذا يقودنا للقول أن الباحث لم يستفد من النتائج المذهلة التي حققتها اللسانيات الاجتماعية في العقدين الماضيين كالفروق القائمة بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة والفروق القائمة بين لغة النساء ولغة الرجال والجانب الحضاري والاجتماعي للغة ... إلخ .

صحيح أن المؤلف تحدث عن الجغرافية اللغوية التي تمكن الأسلوبيات من كشف الأساليب الاجتماعية من خلال خطوط التوزيع المختلفة إلا أن هذا لا يكفي لاستخلاص بنية النصوص ووظائفها الاجتماعية ، فاللسانيات الاجتماعية قطعت شوطا كبيرا في دراسة الأشكال اللغوية ووظائفها الاجتماعية والحضارية . فالمدرسة التواصلية مثلا اكتشفت أن العملية الايصالية تحتاج إلى ثلاثة أنماط لصياغة المعنى وفرزه في النص . هذه الأنماط هي التالية(3) :

ا . أنماط الترميز وتشمل :

(1) القواعد الصرفية والنحوية .
(2) الأصوات .
(3) تنغيم الكلام .
(4) نوعية الصوت البشري .
(5) ما يرافق ذلك من العناصر الحركية (كالايماءات وقسمات الوجه وحركة العينين) .
(6) ما يرافق ذلك من العناصر المكانية (طريقة وقوف الشخصيات المتحاورة أو جلوسهم مقابل بعضهم بعضا) .

ب . أنماط التأطير وتشمل الاستراتيجيات المختلفة في المجتمع وينطوي عنها :

(1) كمية الكلام .
(2) طريقة استهلال الحوار .
(3) تطوير الحوار .
(4) إنهاء الحوار .

(5) تبادل الأدوار فيه .
(6) كيفية معالجة موضوع البحث وتنظيمه .
(7) الأمور الروتينية .
(8) الكليشيهات .
(9) الطقوس المختلفة المتبعة في مجتمع من المجتمعات .

ج . أنماط السياق والمقام وتشمل :

(1) مسرح التفاعل اللغوي .
(2) مكانه .
(3) زمانه .
(4) موضوع الحوار .
(5) الشخصيات المشاركة في الحوار وعلاقة بعضها ببعض من النواحي الاجتماعية .
(6) الخلفية الحضارية الاجتماعية والخلفيات الأخرى للشخصيات . وهكذا فإن هذه الأنماط التواصلية يمكنها أن تكشف لنا حركية التواصل بين منشىء النص والعمليات التواصلية الجارية في النص ثم متلقي النص أو متذوقه . فإذا استطاع الباحث كشف المعنى من خلال هذه الأنماط فإنه يستطيع بعدها تحديد المستوى النفسي للنص والمستوى الشخصي للكاتب ثم المستوى النوعي للمتذوق .

والحقيقة هناك نتائج كثيرة توصلت إليها اللسانيات الاجتماعية يمكن أن تفيد الأسلوبيات في تحليل النصوص كان ينبغي على الباحث ذكرها أو لفت الانتباه إليها لكي تكون دراسته أكثر دقة وضبطا وموضوعية .

(4) والباحث لم يستفد أيضا من معيار مهم جدا في اللسانيات البراغماتية النفعية (الذريعية) وهو معيار الشكل والوظيفة . ونعني بالشكل أصوات الجملة وكلماتها وترتيبها ، أما الوظيفة فنعني بها المعنى الذي تفرزه هذه الجملة . فإذا اعتبرنا الجمل الخبرية والاستفهامية والأمرية أشكالا فليس من المحتم أن تعطينا هذه الأشكال خبرا أو استفهاما أو أمرا .

فكثيرا ما نجد أن شكل الجملة يختلف عن وظيفتها . فسؤال المدرس للطالب «لماذا نسيت القيام بواجبك المنزلي يا علي؟» ليس سؤالا على الرغم من شكله ، بل هو تأنيب للطالب على كسله . وإذا دخل الأستاذ قاعة المحاضرات وشعر أن الهواء مكتوم فيها ورغب في أن يفتح أحد الطلاب النافذة أو مكيف الهواء فربما قال «الغرفة مخنوقة الهواء» وإذا أحد الشباب يفهم أن الجملة نوع من الطلب فيبادر إلى فتح النافذة أو تشغيل مكيف الهواء رغم أن الجملة خبرية من حيث الشكل(4) .

والحقيقة إن استخدام معيار الشكل والوظيفة في تحليل النصوص يساعد الأسلوبيات على تحديد بنية النص ووظائفه اللغوية والاجتماعية ثم تحديد العملية التواصلية بشكل منسجم ومنضبط .

(5) آخر النقاط السلبية في الكتاب أن الباحث لم يستفد من علمين حديثين ومهمين جدا في حقل الأسلوبيات وهما علم الدلاليات (Semantics) وعلم السيميائيات (Semiotics) . فقد تطور هذان العلمان تطورا مدهشا في السنوات القليلة الماضية ولا سيما من خلال احتكاكهما بالدراسات الأدبية والنقدية . فعلم الدلاليات طرح مفاهيم دلالية جد مهمة إذا ما استثمرت في الأسلوبيات فإن الباحث سيتوصل إلى نتائج مدهشة حول حركية النصوص من الوجهة الدلالية .

من المفاهيم التي طرحتها الدلاليات : العلاقة بين الدلالة والاشارة ــ الوظيفة الدلالية التي تبحث في المعنى وآثاره وفي الخلق والتطور الدلالي في النص ــ أشكال تغيرات المعنى وأسباب هذه التغيرات سواء أكانت تغيرات دلالية أم منطقية . أضف إلى

ذلك أن للدلاليات مناهجها في تحليل البنية الدلالية يمكن أن تغني المناهج الأسلوبية وتجعلها أكثر ضبطا. من هذه المناهج : منهج التحليل التوزيعي ـــ منهج التحليل المفهومي ـــ منهج التحليل الاشتقاقي ـــ منهج التحليل الاحصائي وغيرها من المناهج الدلالية المفيدة.

وليس هنا مجال للتحدث عن علم الدلاليات ذلك لأنه علم متشعب ومتعدد الوجوه، والكتب المؤلفة حوله كثيرة يمكن الرجوع إليها لمعرفة مدى تطور هذا العلم وأثره على الأدب والنقد والأسلوبيات(5).

أما علم السيميائيات فقد شهد أيضا تطورا ملحوظا ولا سيما في أوربا والاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة. يبحث هذا العلم في بنية الاشارة وأنواعها ومصادرها ووظائفها في الكون. وبما أن اللغة إشارة صوتية وكتابية فإنها تدخل ضمن الموضوعات التي يبحثها هذا العلم. إن استثمار المفاهيم السيميائية في حقل الأسلوبيات سيضيء لنا مناطق غامضة في النصوص الأدبية وغير الأدبية.

من هذه المفاهيم السيميائية المطروحة مثلا : شكل الاشارة وجوهرها ـــ أنماط الاشارة وتأويلاتها ـــ الشيفرات المنطقية للاشارة (كالتغيرات الايمائية والشيفرات المعرفية والغيبية ... إلخ) ـــ الشيفرات الجمالية للاشارة (كالشيفرات الفنية والأدبية) ـــ الشيفرات الاجتماعية المتعارف عليها بين جماعة معينة ذات ثقافة معينة.

ومجمل القول إن السيميائيات استطاعت أن تكشف لنا بنية الدلالة الخارجة عن نطاق اللغة والتي يمكن أن تساعد اللغة على الايصال والتوصيل.

وكثيرة هي الكتب التي تناولت هذا العلم وبحثته تعريفا وموضوعا وغاية يمكن للقارىء الرجوع إليها في أماكنها(6). والواقع لو التفت الباحث الدكتور سعد مصلوح إلى هذين المعيارين المتطورين لكانت نتائجه أكثر دقة وضبطا وموضوعية.

الهوامش

(1) الدكتور سعد مصلوح أستاذ بكلية دار العلوم ـــ جامعة القاهرة . يقوم الآن بتدريس علم اللغة والأسلوب في معهد الخرطوم الدولي لتعليم اللغة العربية التابع لجامعة الدول العربية .

(2) يمكننا أن نذكر في هذا المجال الأعمال الرائدة للدراسات الأسلوبية الحديثة من حيث النظرية والتطبيق . من هذه الأعمال :

ا . المسدي ، د . عبد السلام (1977) ***الأسلوبية والأسلوب : نحو بديل ألسني في نقد الأدب*** . الدار العربية للكتاب ـــ تونس .

ب . عياد ، د . شكري (1980) «مفهوم الأسلوب بين التراث النقدي ومحاولات التجديد» ***فصول*** ، ج 1 ع 1 القاهرة .

ج . الراجحي ، د . عبده (1981) «علم اللغة والنقد الأدبي : علم الأسلوب» ***فصول*** ج 1 ع 2 . القاهرة .

د . عزت ، علي (1971) «علم الأسلوبيات ومشاكل التحليل اللغوي» **الفكر المعاصر** . ع 80 ـــ القاهرة .

هـ . الطرابلسي ، محمد الهادي (1978) «في منهجية الدراسة الأسلوبية» . ضمن ***اللسانيات واللغة العربية*** . مركز الدراسات ، تونس .

(3) خرما ، د . نايف وحجاج ، د . علي (1988 ص 125 ـــ 126) ***اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها*** . عالم المعرفة . الكويت . الجدير ذكره هنا أن هذا المرجع اعتمد في هذا التصنيف على تصنيف عالم اللسانيات الاجتماعي لفداي . لمزيد من التفصيل انظر :

Loveday, L (1982 : P 63). *The sociolinguistics of learning and using a non-native language*. Oxford : Pergamon press.

(4) المرجع نفسه (ص 125 ـــ 126) .

(5) لمعرفة المزيد حول الدلاليات انظر :

بيير جيرو (1988) ***علم الدلالة*** . ترجمه إلى العربية د . منذر عياشي . دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر . دمشق .

(6) لمعرفة المزيد حول السيميائيات انظر :

بيير جيرو (1988) ***علم الاشارة – السيميولوجيا*** . ترجمه إلى العربية د . منذر عياشي . دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر . دمشق .

الخلاصة

يعتبر كتاب «الأسلوب : دراسة لغوية إحصائية» من أهم الكتب التي بحثت في الأسلوبيات على مستوى النظرية والتطبيق . وينبغي علينا أن نعترف أن كل جديد لا بد أن تعترضه بعض العقبات مادة ومنهجا . ولكن الحقيقة التي لا مجال للشك فيها هي أن هذا الجديد لابد من التطوير ، ولا يمكن أن يتم هذا إلا من خلال احتكاك النظرية بالواقع . وبما أن الأسلوبيات تعتبر نظرية قائمة بذاتها فلا بد من تطبيقها على النصوص العربية (الأدبية وغير الأدبية) وذلك لامتحانها ومعرفة مواطن قوتها وضعفها ، ذلك لأن المشكلات التي تحيط بالأسلوبيات في الغرب هي مختلفة من حيث الشكل والجوهر عن المشكلات التي تحيط بها في الثقافة العربية المعاصرة .

وما هذه الدراسة التي قدمها الدكتور سعد مصلوح إلا محاولة لجعل النظرية الأسلوبية تحتك بالواقع العربي (اللغوي والأدبي) من أجل اكتشاف أفضل وأنجع لبنية النص العربي .

بهذا المفهوم وحده يمكن أن نعد هذه الدراسة الأسلوبية لبنة من لبنات الثقافة الأسلوبية الحديثة التي نتطلع إليها في المستقبل .